مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية
المجلد 16 العدد 3 (السداسي الثاني 2024م)
ص. 597 – 624

قضية إعجاز القرآن عند محمد الصالح الصدّيق
من خلال كتابه . من روائع الإعجاز.

The Miraculousness of the Quran According to Muhammad Al-Saleh Al-Siddiq, Through his book 'Masterpieces of Miraculousness'

إسلام ميلاط
المركز الجامعي مغنية (الجزائر)، milatislam682@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/05/01 تاريخ القبول: 2024/09/27 تاريخ النشر: 2024/09/30

ملخص:

تعدّ قضية إعجاز القرآن من القضايا المهمة التي حازت عناية العلماء قديما وحديثا، وذلك لارتباطها الوثيق بالقرآن الكريم كتاب المسلمين الخالد، ومن العلماء المعاصرين الذين عُنوا بدراسة فكرة الإعجاز ومناهج بحثها عناية فائقة الأستاذ محمد الصالح الصديق، الذي عرف بين الناس من خلال دراساته الأدبية والفكرية، وبالنظر في قضية الإعجاز فقد كانت له تعليلات قيّمة ونظرات جديرة بالتأمل، وقد سعت هذه الورقة البحثية لبيان مداخل عطائه المعرفي والفكري في هذه القضية، وبلوغ هذا المقصد استدعى التوسل بالمنهج الاستقرائي التحليلي، وكان من جملة النتائج المحرّرة: أنّ المؤلف وفق في عرض قضية إعجاز القرآن بأسلوب أدبي رائق يصل بالقارئ إلى الاقتناع العقلي والاطمئنان القلبي بأن القرآن الكريم إلهي المصدر، ومنها: أن كتاب " من روائع الإعجاز " وضع في سياق البحث عن سرّ الإعجاز ومكمنه في القرآن، ومنها: أن الغاية من وضع هذا الكتاب توصيل القارئ لفهم قضية إعجاز القرآن كلٌ بما يتناسب مع طاقاته الفكرية ومنجزاته العلمية.

الكلمات المفتاحية: إعجاز القرآن، محمد الصالح الصدّيق، من روائع الإعجاز، التحدي.

Abstract:

The issue of the miraculous nature of the Quran is one of the important topics that have attracted the attention of scholars, both ancient and modern, due to its close connection with the Quran, which is considered the eternal book of Muslims. Among the contemporary scholars who have focused on studying the concept of miracle and the methodologies of its research is Professor Mohammed Al-Saleh Al-Sadiq, who became known among people through his literary and intellectual studies. Regarding the issue of miracle, he provided valuable explanations and insightful perspectives. This research paper aims to elucidate his intellectual and scholarly contributions to this issue, employing an analytical-inductive approach to achieve this goal. Among the conclusions drawn were: the author's success in presenting the issue of the Quranic miracle in a literary style that convinces the reader intellectually and reassures them emotionally that the Quran is of divine origin. Furthermore, one of the conclusions was the placement of the book "Marvels of the Miracle" in the context of the search for the secret of the miracle and its essence in the Quran, aiming to guide the reader to understand the issue of the Quranic miracle in a way that corresponds to their intellectual capacities and scientific achievements.

Keywords: Quranic miraculousness, Muhammad Al-Saleh Al-Siddiq, Masterpieces of Miraculousness, Challenge.

1 . مقدّمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فيعدّ علم إعجاز القرآن من أهم العلوم التي تظهر عظمة القرآن، وأنه معجزة النبي ﷺ الكبرى، وقد أشار العلماء في مصنفاتهم إلى الفوائد العظيمة التي يفيدها هذا العلم الشريف والتي تتصل بأهم الأمور في الدين الإسلامي وهو العقيدة، فإعجاز القرآن دليل على المصدر الرباني ودليل على صدق الرسالة، ولهذين الأمرين صلة بأركان الإيمان، فمن ثمة شغل هذا العلم دواوين التفاسير وكتب علوم القرآن والبلاغة وغيرها من العلوم، وقد تتبع بعض العلماء فكرة الإعجاز وتطورها، وأبرز وجوه الإعجاز التي قال بها علماء الأمة وأدباؤها، ومن أبرز أؤلئك العلماء الأستاذ الأديب محمد الصالح الصديق فقد كشف عن روافد الفكرة، وأخضعها للتأمل والنقد، وهذا ما سنقف عليه في الدراسة.

هذا، وقد لقد اقتضت طبيعة الموضوع جعل البحث في مقدّمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفيما يلي عرض لمحتوى الدراسة.

مقدّمة: وتشمل: أهمية علم الإعجاز، و خطة الدراسة .

المبحث الأول: وعنونته بـ "محمد الصالح الصدّيق ونظرته العامة لإعجاز القرآن"، وفيه ثلاثة مطالب: المطلب الأول: تناولت فيها ترجمة موجزة لمؤلف " من روائع الإعجاز " وهو محمد الصالح الصدّيق حيث تحدّثت فيها عن اسمه ونسبه، ومولده ونشأته، ثم عن طلبه للعلم، كما أشرت إلى أعماله ومناصبه، وختمت الكلام بالحديث عن آثاره العلمية. وأما المطلب الثاني: فقد جعلته للتعريف بكتاب من روائع الإعجاز، وبيّنه قيمته، ومصادره، ومنهج مؤلف فيه، وأمّا المطلب الثالث: فتحدثت فيه عن مفهوم إعجاز القرآن عند محمد الصالح الصدّيق.

المبحث الثاني: عنونته بـ" أوجه الإعجاز عند محمد الصالح الصدّيق "، وقد أبرزت فيه أوجه الإعجاز التي ذكرها المؤلف وهي: الإعجاز البياني، الإعجاز الغيبي، الإعجاز التشريعي، الإعجاز الخلقي، إعجاز اتساق نظريات القرآن وأحكامه، الإعجاز الحسابي، الإعجاز العلمي، الإعجاز النفسي. وتناولتها بالتحليل والتفسير.

المبحث الثالث: وعنونته بـ " آراء مشاهير العلماء في قضية إعجاز القرآن "، تناولت فيه مسلك المؤلف في إبراز رأي العلماء المتقدمين والمتأخرين في قضية الإعجاز القرآنيّ .

خاتمة: وفيها: أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث.

والله نسأل أن يجعل هذا العمل في موازين الحسنات، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

2. محمد الصالح الصدّيق ونظرته العامة لإعجاز القرآن.

1.2. نبذة عن حياة محمد الصالح الصدّيق.

هو الأديب اللغوي المجاهد محمد الصالح بن محمد البشير بن محمد بن سعيد آيت صديق، ينتهي نسبه إلى عرش آث جنّاد الزواوي، ولد محمد الصالح بقرية أبيزار مدينة (تيزي وزو) في 04 جمادى الثاني 1344هـ، الموافق 19 ديسمبر 1925م، ولد من أسرة كريمة المحتد، شهيرة بالفضل والعلم والدين .

حفظ القرآن الكريم في زاوية سيدي منصور آث جنّاد على يد والده الشيخ محمد البشير، ولما يكمل بعد التاسعة من عمره، ثم ألزمه والده بحفظ أكثر من ثلاثين متنا في مختلف العلوم والفنون، ناهيك عن عشرات القصائد لفحول الشعراء العرب، على غرار ألفية ابن مالك، وتلخيص القزويني، وجمع الجوامع للسبكي، واستوعب في هذه الفترة عددا كبيرا من الكتب الدينية والأدبية، فكانت مكافأة والده أن أخذه إلى مدينة الجزائر العاصمة في ربيع سنة 1934م، وهناك التقى بإمام النهضة الجزائرية الشيخ العلامة عبد الحميد ابن باديس، ولمّا علم الإمام أن الفتى محمد الصالح حفظ القرآن وهو لم يتجاوز سن التاسعة، وضع يده على رأس الصبي، وقرأ عليه قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾ (النساء: 113) .

ولمّا اشتد عود الفتى محمد الصالح قرّر والده إرساله إلى زاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي ليأخذ مبادئ العلوم الشرعية واللغوية، حيث كان يدرس بها الشيخ المولود الحافظي الأزهري، والشيخ أرزقي الشرفاوي الأزهري كذلك، فأخذ على شيوخ الزاوية جملة من العلوم والمعارف العقلية والرياضية والطبيعية والفلكية، وكان محل إعجاب مشايخها بذاكرته القوية، وبغزارة محفوظاته.

وفي سنة 1946م، انتقل محمد الصالح إلى تونس ليتلقى تعليمه العالي في جامع الزيتونة، وهناك أخذ العلم على جلّة وخيرة علمائها، من أمثال: محمد الفاضل ابن عاشور، العربي العنابي، أحمد الجريدي، مختار الوزير، وتحصل منها على شهادة التحصيل والأهلية سنة 1951م، وبعد نهله من العلوم والمعارف في تونس عاد إلى أرض الوطن، حيث التحق بزاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي أستاذا وميسرا للتعليم، فأحدث تغييرا جذريا في نظام

التعليم، فيما يتعلق بالمناهج والمقررات، وعندما اندلعت ثورة الفاتح من نوفمبر سنة 1954م التحق بها، وكلف بجمع الأموال والأسلحة إلى غاية تحقيق النصر في الخامس من جويلية سنة 1965م.

تأثر الشيخ محمد الصالح الصدّيق في تكوين شخصيته العلمية بصهره العلامة محمد أرزقي الشرفاوي، خريج الأزهر الشريف وأحد كبار علماء الجزائر، كما كان لمحمد الفاضل ابن عاشور والشاعر التونسي محمد بوشربية أثر كبير في مساره العلمي، ناهيك عن تأثره بمجموعة من الشيوخ والأدباء الذين لم يتلق عنهم مباشرة منهم: كرائد النهضة الجزائرية الشيخ عبد الحميد ابن باديس الذي تأثر بأفكاره وآرائه الإصلاحية، والشيخ العلاّمة محمد البشير الإبراهيمي الذي أعجب ببيانه، وقلمه السّيال، وعباس محمود العقاد، وأحمد حسن الزيات وغيرهم كثير.

تميز محمد الصالح الصدّيق على قرنائه بما دبّجت يراعه من تواليف كثيرة بعضها يتعلق بالقرآن وعلومه، وبعضها يتعلق بالأعلام والشخصيات، وبعضها يتعلق بالعقيدة والأخلاق، منها: مقاصد القرآن، أعلام من زواوة، الشيخ أرزقي الشرفاوي، شخصيات فكرية وأدبية، البيان في علوم القرآن، أدباء التحصيل، من مناهل النبوة، من حياة الرسول، مع الرسول في بلاغته، شخصيات ومواقف، جوامع الكلم النبوية، من روائع الإعجاز العلمي في القرآن.

أجمع العارفون بشخصية محمد الصالح الصدّيق على أنه يتصف بصفات تدل على اتّقاد الذهن، وصفاء الروح، ولين العريكة، يقول عنه الشيخ عبد الرحمن شيبان ـ رحمه الله ـ "طاقة ثقافية، أدبية، تربوية، أخلاقية، دينية، وطنية، عرفته في جميع أطوراه أدبيا تستهويه العبارة البليغة أكثر ممّا تستهوي السبيكة الذهبية الغنيّ البخيل... عرفته في ميدان التأليف فارسا يخوض المعارك المظفرة في مختلف الجبهات، مركزا اهتمامه على توجيه الرأي العام، والناشئة بصفة خاصة، إلى ما ينمي معارفهم، ويوسع دائرة تفكيرهم، ويغذي فيهم الحسّ الوطني الفدائي الحضاري، بأسلوب يتسرب إلى النفوس تسرب الينابيع إلى الحقول الخصبة العطشاء في غزارة وتنوع في الإنتاج "[1].

[1] ينظر، أضواء كاشفة عن محطات بارزة من حياة الأديب الأستاذ محمد الصالح الصدّيق، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، برج الكيفان، الجزائر، 2007م، ص190، وينظر، عبد الحميد عبدوس، العلامة الأديب محمد الصالح الصدّيق الهرم الثقافي الشامخ، على الرابط :https://binbadis.net

اشتغل الأستاذ بعد الاستقلال بالتعليم ما بين (1965 . 1980) كأستاذ لمادة اللغة العربية وآدابها في ثانوية عبان رمضان بالحراش، وثانوية الأخوين حامية بالقبة، كما اختير ممثلا للجزائر في محافل دولية عديدة، وكلّف بعد انتدابه إلى وزارة الشؤون الدينية بمهمة إحياء التراث العلمي الجزائري، للأستاذ ـ أطال الله عمره ـ دور بارز في مجال التأليف، فقد أثرى المكتبة العربية بأكثر من مائة وخمسين مؤلفا، ولا يزال ـ إلى يوم الناس هذا ـ يزاول نشاطه في الكتابة والتأليف.

2.2. كتاب من روائع الإعجاز، قيمته، ومصادره، ومنهجه:

يعدّ هذا السفر العلمي النفيس " من روائع الإعجاز "، الذي أسهم به الأستاذ محمد الصالح الصديق في إثراء المكتبة العربية سمة علميّة بارزة في إنجازات علماء الجزائر، فيما يتعلق بخدمة علوم القرآن عموما، وعلم الإعجاز على وجه الخصوص. فهو كتاب عصريّ رائد، يعكس بصدق و وضوح جهد مؤلفه في تقريب قضية الإعجاز بحلة جديدة، تناسب معطيات العصر وتطور الفنون والمعارف. فقد وقف الأستاذ ـ فيه ـ وقفة متأنية مع وجوه الإعجاز وأقوال المحققين فيه، محاولا استطلاع ما قرره المتقدمون والمتأخرون في المسألة، كل ذلك باقتفاء منهج علمي رصين، وأسلوب أدبي جميل.

وقد اعتمد الأستاذ في سفره هذا على مصادر امتازت بأصالتها وشهرتها بين العلماء، فضلا عن كونها ـ في الغالب ـ من كتب علم الإعجاز المعروفة التي لا يمكن أن يستغني عنها قاصد هذا العلم الشريف، سواء ما تعلق منها بمؤلفات الأقدمين أو المحدثين، ومن أهم هذه المؤلفات التي اعتمد عليها في كتابه: النكت في إعجاز القرآن للرماني، وبيان إعجاز القرآن للخطابي، والبيان والتبيين للجاحظ، الصناعتين لأبي هلال العسكري، ومفتاح العلوم للسكاكي، والشفا للقاضي عياض، وبديع القرآن لابن أبي الأصبع، ومقدمة ابن خلدون، وتفسير مجالس التذكير لابن باديس، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي، والوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا.

ويخطئ من يظن أن الأستاذ كان ناقلا عن مصادره فحسب، والحق أنّه كان ناقدا ممحّصا يضعف ويقوّي الأقوال، ويوجه الآراء نحو هدفه الذي سعى إليه وهو توصيل القارئ لفهم وتدبر القرآن على الوجه الذي أمر به، وهذا الغرض الشريف لن يتحقق ـ

حسبه ـ إلا بالتأمل في علم الإعجاز، لأنه الكاشف عن أسرار التعبير القرآني، والهادي إلى معرفة أوجه عظمته.

تركز جهد الأستاذ محمد الصالح الصديق في كتابه على تجلية قضية الإعجاز وعرضها، وذلك بالتركيز على مناهج علمية مختلفة، فقد عني بالمنهج التاريخي في دراسة أقوال مشاهير العلماء الذين تناولوا قضية الإعجاز، واعتمد أيضا على المنهج الوصفي التحليلي في الكشف عن وجوه الإعجاز ومجاريها الكبرى.

وتجدر الإشارة إلى أنّ كتاب من روائع الإعجاز يقع في جزء واحد من الحجم المتوسط، وهو في مائتين وتسعة وعشرين صفحة، وقد أرشد المؤلف الدارسين إلى السبب الرئيس لتأليف الكتاب، فقال: " ولابد من ملاحظة أخرى تفرض نفسها، وهي أنني لم أفتأ أفكر في مسلمي هذا العصر، أكرمهم الله بهذا الكتاب المعجز، وأنعم به عليهم، ولكنهم جاهلون لقيمته، غافلون عن أسراره وحقائقه، معرضون عما فيه من أسباب الرقي والسعادة "[2].

وتساوقا مع ما سبق ذكره، فإن ممّا شدّ انتباهنا، عنوان الكتاب الذي هو اختصار لمضمونه، ودليل على منهج صاحبه، فإن هذا العنوان الذي بين أيدينا " من روائع الإعجاز " يثير الانتباه والفضول، ويدعونا إلى تتبع معاني تراكيبه، والغوص في مكونات دلالاته، فـ "من" فيه حرف معنى يدل على التبعيض، وهذا ما يوحي بأن المؤلف لن يذكر كل روائع الإعجاز، وإنما سيذكر بعضا منها، أما كلمة " روائع " فهي دالة على كل ما يمكن أن يستثير النفس الإنسانية ويستفز أحاسيسها من الفضائل والمعارف والأخلاق، وأمّا لفظة "الإعجاز" فتدل على فوات قدرة الخلق عن معارضة كلام الله، وأنهم عاجزون عن الإتيان بسورة من مثل القرآن، لا هم ولا غيرهم ممن سيأتي بعدهم، قال الله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ۖ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿23﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿24﴾ ﴾ (البقرة: 23. 24).

[2] من روائع الإعجاز، محمد الصالح الصديق، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م، ص 14.

ولا يفوت الأستاذ أن يبين في خاتمة الكتاب، إلى أن حقيقة الإعجاز القرآني لا تزال تلفت أنظار العلماء على تراخي العصور، واختلاف الأمصار، فمدد سيلها لا ينقطع، ففي كل عصر تحمل جديدا للناس، وما مرجع هذا إلى أن كنوز القرآن وعجائبه لا تنتهي، يقول مشيرا إلى هذا:" إذا كان إعجاز القرآن بحرا واسعا لا ساحل له، وطريقا ممدودا لانهاية له، فلا بد أن يتوقف الفكر والقلم عن هذا الحد، لأن الطمع في التقصي والإحاطة طمع في المحال "[3]، وخروج عن متبادر الأذهان.

ومن خلال النظرة الفاحصة في الكتاب، يتبين للقارئ جليا سيطرة المنهج الجدلي المنطقي في عرض المؤلف لوجوه الإعجاز، إذ تكثر عنده الاعتراضات التي قد ترد على كل وجه من وجوه الإعجاز، فيوردها ثم يتولى مناقشتها والرد عليها، بكلام رائع متين، وتمحيص دقيق لصحيحها من زائفها، مقتفيا أسلوب الحجاج الحواري، وحاشدا لأدلته الحجاجية، مما يبين عن فكره المنطقي الممنهج في الكتاب.

1.2 مفهوم إعجاز القرآن عند محمد الصالح الصدّيق:

1.1.2 المعجزة لغة: العجز في كلام العرب تدور أصوله الثلاثة (ع،ج،ز)على معنى التأخر، يقول الراغب الأصفهاني: عجز، عجُزُ الإنسان مؤخره، وبه شبّه مؤخر غيره، قال: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾ (القمر: 20)، والعجز أصله التأخر عن الشيء، وحصوله عند عجُز الأمر، أي مؤخره، كما ذكر في الدبر، وصار في التعارف اسما للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة، قال: ﴿أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ﴾ (المائدة: 31)، وأعجزت فلانا وعجّزته وعاجزته جعلته عاجزا "[4]. وذهب ابن فارس إلى أن العين والجيم والزاي تدل على أصلين أحدهما الضعف، والآخر مؤخر الشيء "[5].

وعند إنعام النظر في هذه الاشتقاقات، يبرز بوضوح أن هناك صلة وثيقة بين معنى الضعف والتأخر من جهة، وبين معنى القصور عن الشيء من جهة أخرى، فالرحم موصولة

[3] المرجع نفسه، ص133.

[4] مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق،ط2، 1418هـ.1997م، ص 323.

[5] معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين ابن فارس، تح: عبد السلام هارون، ط1، دار الفكر، بيروت، 1399هـ.1979م، 4/ 232.

بين المعنيين، لأنّ التأخر والضعف ظهر جليا عندما تحدى القرآن العرب الفصحاء عن معارضته، فثبت قصورهم وعجزهم وتأخرهم.

2.1.2 المعجزة اصطلاحا: هي: " أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من المعارضة "[6]، يجريه الله على يد نبيّ من أنبيائه، تصديقا له في دعوى النبوة ليصدقه المرسل إليهم، ومن حكمة الله سبحانه وتعالى أن معجزات الأنبياء كانت متوافقة منسجمة مع طبيعة بيئتهم وأزمنتهم وأمكنتهم، كما اختصت كل المعجزات بكونها حسية لا يشهدها إلا من حضرها، إلا المعجزة القرآنية فقد جعلها الله معجزة عقلية عامة باقية ما بقي القرآن الكريم.

يقول الأستاذ محمد الصالح الصديق في هذا الصدد: " كانت معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مناسبة لمدارك النوع البشري، ومن هنا كانت معجزات الأنبياء السابقين أمورا حسية، وكانت من جنس ما اشتهر به أقوامهم، ليكون إلزام العقول بها أتمّ وأمكن، ففي عصر موسى عليه السلام اشتهر المصريون بالسحر، فكانت كبرى معجزاته انقلاب العصا حية تسعى، وفي عصر عيسى عليه السلام اشتهر قومه بالطب، فكانت معجزاته إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى بإذن الله، ولما تطور النوع البشري ... أرسل الله تعالى إليه خاتم الأنبياء محمد ﷺ، وجعل أكبر معجزاته آية علمية عقلية خالدة هي القرآن الكريم"[7].

3.1.2 إعجاز القرآن: عني علماء الدراسات القرآنية بهذا المفهوم، حتى أفردوه بالبحث والتصنيف، وعدوه علما مستقلا واضح المعالم ومحدّد السمات، بل جعلوه أحد علوم القرآن المعتبرة، وقد وردت عدّة تعريفات لهذا المصطلح، فقد عرفه أبو البقاء الكفوي بأنّه: " ارتقاؤه ـ أي القرآن ـ في البلاغة إلى أن يخرج عن طوق البشر، ويعجزهم عن معارضته على ما هو الرأي الصحيح، لا الإخبار عن المغيبات، ولا عدم التناقض والاختلاف، ولا الأسلوب الخاص، ولا صرف العقول عن المعارضة، ولا إيجاز اللفظ، أو كثرة المعنى، وليس إعجازه لمعناه فقط "[8].

---

[6] انظر، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تح: مركز الدراسات القرآنية، ط1، المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426هـ، 5/ 1873.

[7] من روائع الإعجاز، محمد الصالح الصديق ص 17.

[8] الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 149.

وممن سبر دلالته الاصطلاحية الأستاذ الزرقاني، فقد عرّفه تعريفا عاما بصرف النظر عن وجه إعجازه، فقال: " إعجاز القرآن مركب إضافي معناه بحسب اللغة: إثبات عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، فهو من إضافة المصدر لفاعله، والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به، والتقدير إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به "[9].

والخلاصة أن معنى إعجاز القرآن عجز الثقلين جميعا إنسهم وجنهم ظاهرين عن الإتيان بمثله، فكلمة إعجاز مصدر، وإضافتها إلى القرآن من إضافة المصدر إلى فاعله، فكأن التقدير: أعجز القرآن الثقلين جميعا، إنسهم وجنهم متظاهرين أن يأتوا بمثله.

وعى محمد الصالح الصديق ما انتهى إليه منجز السلف في مقاربة قضية الإعجاز، وبخاصة ما أنجزته معالجات الخطابي والرماني والجرجاني، فألم إلماما عميقا بالقضية ومناهجها وحدودها الضابطة، ليكشف بعد ذلك عن رأيه في المسألة، ويقرر أن وجه التعميم هو أقرب الوجوه إلى حيز الصواب.

والأستاذ في انتهاجه هذا النهج يقتفي آثار العلماء قديما وحديثا، لأن النظرة الشمولية لإعجاز القرآن وجه قال به كثير من السلف والخلف، وعلى الرغم من هذا فإن اهتمامه في ثنايا كتابه كان منصبا على وجهين من تلك الوجوه وهما: الوجه البياني، والوجه العلمي.

وبالعودة إلى الوجه المختار من وجوه الإعجاز عند العلماء في القديم والحديث، نجد تباينا وتمايزا في نهوج الدارسين لهذه القضية، فقد ذهب السواد الأعظم منهم إلى أنّ وجه الإعجاز كائن في بيان القرآن وبلاغته ونظمه، والذي يختلف اختلافا بينا عن كل نظم وبيان في لغة العرب، ومنهم من قال أن وجه الإعجاز فيه سلامته من التناقض والاختلاف والتفاوت، بينما اختار بعضهم القول القائل بأن إعجاز القرآن كامن في اشتماله على الأخبار المغيبة، ومنهم من قال بالصرفة، ومعناها أن الله صرف هممهم عن معارضته والقول على منواله، ولو خلي بينهم وبينه لأتوا بمثل القرآن في فصاحته وبلاغته، وهذا القول مذموم باطل يردّه العقل والنقل، إلى غير ذلك من أقوال أهل العلم.

[9] مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني، ط/ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط3، 331/2.

وقد استند إلى القول الأول كثير من الباحثين في قضية الإعجاز[10]، وكان باعثهم على ذلك أن القرآن الكريم إعجازه إعجاز ذاتي، يتمثل في فصاحة ألفاظه، وبلاغة معانيه، وحسن انسجامه، وهذا الوجه هو الذي وقع به التحدي إبان نزول القرآن، قال ابن عطية الأندلسي بعد أن قرّر هذا الوجه: " وهذا هو القول الذي عليه الجمهور والحذاق، وهو الصحيح نفسه، وأن التحدي إنما وقع بنظمه، وصحة معانيه، وتوالي فصاحة ألفاظه "[11].

وهذا الوجه الأخير هو الذي اختاره محمد الصالح الصديق بعد تصفح الآراء وإطالة الفكر في المسألة، فقد بيّن أن الإعجاز واقع في الأسلوب والمضمون، يقول في هذا الصدد: "والفكرة التي نخرج بها من هذا الغرض الوجيز لطبيعة القرآن ووضعه، أنّه معجز بفصاحته وبلاغته، ومعجز أيضا بمضمونه ومحتواه لما قدمنا من أنه يستحيل أن يكون بشريا لا بصورته ولا بروحه، وإنّ هذا المستوى الذي انفرد به القرآن يدرك بالبداهة مادام هو كلام الله[12].

بل إنه نقل الإجماع على ذلك فقال: " وهذا ما أجمع عليه العلماء و الباحثون قديما وحديثا، فليس القرآن معجزا بأسلوبه فقط ولا معجزا بمضمونه فقط، وإنما هو معجز بهما معا "[13].

ويبدو أن النتيجة التي توصل إليها في بحثه هي أن الوجه البياني، هو أقرب الأقاويل إلى الصواب لقلة الإيرادات والاعتراضات عليه، يقول مشيرا إلى هذا الرأي: " الجدير بالترجيح والاعتماد في هذا الموضوع ... أنه معجز بمحتواه ومضمونه، ولكن إعجازه البياني في الدرجة الأولى "[14]. وذلك لأنه ينتظم في سور القرآن كلها، على اختلافها طولا وقصرا، بل هو موجود في كل آية منه، أما الوجوه الأخرى فليست موجودة في كل آية من القرآن، ومن هنا كان الإعجاز البياني أعظم الوجوه.

---

[10] اختار هذا القول الخطابي، والجرجاني، وابن تيمية، والزركشي، والسيوطي، والرافعي، ومن المتأخرين الرافعي، ومحمد رشيد رضا، وغيرهم.

[11] المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ ، (1/ 59.60).

[12] من روائع الإعجاز، محمد الصالح الصديق، ص 24.

[13] من روائع الإعجاز،، محمد الصالح الصديق، ص 24.

[14] المرجع نفسه، ص 26.

ثم إن وجه البلاغة وإن كان حظي عند الأستاذ محمد الصالح الصديق بقدر كبير من البيان والشرح، إلا أنّ الإعجاز - عنده - ليس مقتصرا على وجه البلاغة فقط، بل هو آية بينة من وجوه متعددة، من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، ومن جهة إخباره بالغيب، ومن جهة ما فيه من حقائق علمية، ومن جهة ما فيه من تشريعات، إلى ما هنالك من وجوه أخر.

وقد استفاد الأستاذ من كلام الباقلاني - رحمه الله - في هذه المسألة، فقال في تقرير هذه النظرة وتوضيحها: " ففصحاء البشر عاجزون عن مباراته بالقوة والفعل، وهو مذهب الباقلاني في كتابه "إعجاز القرآن" وهو الذي ترتضيه وتطمئن إليه نفوسنا وضمائرنا، ومعنى ذلك أن إعجاز القرآن كامن فيه، ومنبعث من ذاته، وقائم به، فمن أراد أن يعرف إعجازه فلا بدّ أن يبحث فيه "[15]. لأن نظمه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب.

وبعد استقصاء وتتبع مواقع المسألة في مصادرها، يوجه محمد الصالح الصديق قارئه إلى الرحيق الذي استخرجه من طول مكابدته وجه الإعجاز، فيقول: " إن ما قدمناه وأفضنا فيه القول من وجوه الإعجاز ، وصوره قائم في تحديد إعجاز القرآن، وفي بيان عجز دول الفصاحة والبلاغة وتقهقرها أمامه، ولكن إعجاز القرآن قبل ذلك و بعد ذلك إنما يعود إلى روحانيته "[16].

ثم مضى يفسر معنى الروحانية التي تعتري النفوس عند تلاوة القرآن، وتملأ القلوب عند سماعه، فيقول: " إنّ (الروحانية) التي نعنيها تنفذ إلى أعماق النفس وسويداء ضميره وتستولي على مشاعره وأحاسيسه، وتفعل فيه العجاب، وتخلقه خلقا جديدا ! " [17].

يتبين لنا مما أورده محمد الصالح الصديق في وجه الإعجاز، أنّه ليس له رأي خاص في القضية، ولكن المهم أنه يعتقد بوجود وجوه في الإعجاز، فهو يرى أن القرآن معجزة لغوية، وعلمية، وغيبية وتشريعية، ونفسية، وما إلى ذلك من الوجوه، وأن التحدي إنما حصل بالوجه البياني، و هذا المذهب الذي عوّل عليه الأستاذ هو مذهب جمهور أهل العلم من الفقهاء والمفسرين والبلاغيين وأرباب علماء هذه الصناعة.

---

[15] المرجع نفسه، ص52 .

[16] المرجع نفسه، ص 111.

[17] من روائع الإعجاز، ص 111.

وحاصل القول: إن الأستاذ محمد الصالح الصديق بعدما جمع آراء من سبقوه في قضية الإعجاز، ورآها كلها صحيحة، خلص إلى فكرة قيمة، وهي أنّ الإعجاز الروحي هو الحجة التي تكون في مستوى إدراك جميع الناس[18]، فكم من أعجمي كان القرآن سببا في إسلامه، وكم من عربي تفاعل مع أسلوب القرآن فتغير مساره حياته، وكم من بلاغي تأثر بنظمه فأبصر من النكت واللطائف ما لم يبصره غيره، والحقيقة أن هذا اللون سر من أسرار الله في كتابه، لم يأخذ حقه من الشهرة والذيوع في الدراسات والبحوث العلمية.

3. أوجه الإعجاز عند محمد الصالح الصدّيق :

تعد أوجه إعجاز القرآن من الموضوعات المهمة التي تعددت اتجاهات العلماء ومنطلقاتهم الفكرية في تقريرها، والواقع أن العلماء ـ قديما وحديثا ـ اتفقوا على أن القرآن أعجز الثقلين (الإنس والجنّ) على أن يأتوا بمثله، مع تكرر التحدي وتوفر الدواعي، ولكنهم اختلفوا في الوجه الذي وقع به الإعجاز فذكروا في ذلك أوجها كثيرة، منهم من اقتصر على وجه واحد في الإعجاز، ومنهم من رأى تعدّد الأوجه كل ذلك بغية الوقوف على حقيقة الإعجاز ، ولم يشذّ محمد الصالح الصدّيق عن هذا المسلك، فقد أدلى بدلوه في وجوه الإعجاز بحسب ما فتح الله عليه من علوم وملكات .

وقد عرض محمد الصالح الصديق تعليله لوجوه الإعجاز من خلال مطالب ثمانية، نفصلها في الآتي:

1.3 الإعجاز البياني:

إنّ تفرد الأسلوب القرآني أخرجه عن موافقة طرائق العرب والمقصود بذلك أن القرآن وإن كانت حروفه وألفاظه هي ذاتها حروف العرب وألفاظها، إلا أنه خارج في نظمه عن منظوم الكلام ومنثوره، فما هو بالشعر ولا الرجز ولا الخطبة ولا السجعة، فهو مباين لأقسام كلام العرب، وإنما كان القرآن الكريم بهذا النهج البديع من الكلام لأنه ليس من وضع البشر.

[18] لعل أول من نبه على هذا الوجه من المتقدمين الإمام الخطابي، وقد قال به من المعاصرين محمد فريد وجدي.

يقول محمد الصالح الصديق مبينا ذلك: " وبالرغم من أن المفردات التي يوظفها الجميع واحدة، والتراكيب في جملتها واحدة، والقواعد المرعية في صوغ الجمل واحدة، فإن الأساليب تختلف من متكلم إلى آخر. ومن ثم كان للقرآن الكريم في أسلوبه الخاص الذي انفرد به وتميز عن سائر أنواع الكلام البشري، فهو نمط فذّ في انتقاء الألفاظ، وإحكام التراكيب، وفي البلاغة والفصاحة، وفي الروعة وجمال الديباجة، فهو من حيث الحروف، والألفاظ، والجمل، والقواعد، جار على النهج العربي المألوف، ولكنه من حيث أسلوبه ومنهجه الكلامي خارج عن المعهود، ومباين للمألوف لا يشبه أي أسلوب من أساليب العرب "[19].

وقد تجلت نظرة ا أستاذ محمد الصالح الصدّيق لخصائص أسلوب القرآن من خلال المعالم الآتية:

1.1.3 مسحة القرآن اللفظية: ويقصد بها بلاغة اللفظ القرآني من جهة جزالته، فالقرآن دقيق في اختيار ألفاظه، وانتقاء كلماته التي تحار فيها العقول، وتكل فيها القرائح، فألفاظه هي لب كلام العرب، وزبدته، ثم إن المفردات القرآنية لها مميزات وخصائص، من حيث جمال الصورة، ودقة المعنى، واتساع دلالاتها لما لا تتسع له دلالات الكلمات الأخرى، يقول ابن عطية الأندلسي: " وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة غيرها لم يوجد، ونحن يتبين لنا البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهها في مواضع، لقصورنا عن مرتبة العرب ـ يومئذ ـ في سلامة الذوق وجودة القريحة "[20].

وما قاله ابن عطية، هو الذي أكدّه محمد الصالح الصديق عند حديثه عن فصاحة ألفاظ القرآن، وكونها موحية معبرة، وهادفة مؤثرة، يقول في الشأن: " فإنها ـ أي ألفاظ القرآن ـ جذابة أخاذة، تتجلى في الاتساق والائتلاف على طريقة عجيبة لا يمكن أن يرتقي إليها كلام بشر مهما توفر من عوامل الإبداع" [21].

[19] من روائعالإعجاز ، ص52. 53.

[20] المرجع السابق، المحرر الوجيز، مقدمة تفسيره.

[21] من روائعالإعجاز ، ص 54.

2.1.3 جودة السبك: إنّ الإعجاز البياني يرجع في جوهره إلى جودة السبك، وحسن النظم، وهذا الجانب التفت إليه عبد القاهر الجرجاني في بيانه للجهة التي أعجز بها نظم القرآن العرب، فقال: " أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه.... وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها "[22]، فمرجع الإعجاز عنده راجع إلى ذلك التناسب الذي يجمع بين شكل القرآن ومعناه، وإلى ذلكم الترتيب الذي كان لكلمات القرآن وجمله وآياته.

وقد وافقه محمد الصالح الصديق في رأيه في هذه القضية، فقال: " فالقرآن الكريم بلغ أقصى الدرجات، وأبلغ الغايات في ترابط كلماته، وتماسك جمله، وتعانق آياته، مع طول نفسه، وتنوع مقاصده، فإذا فتحت المصحف... وجدته وحدة متماسكة الأجزاء، متآلفة الأعضاء، متآخية الأوصال، فجل من قال: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿27﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (الزمر: 27. 28 ")[23].

3.1.3 ائتلاف أسلوب القرآن مع معانيه: وهذا ما صرّح به محمد الصالح الصديق في قوله: "فكان كله ـ أي القرآن ـ رائع النظم حسن السبك، يسري إلى النفس في مسالك لطيفة، وإلى القلوب في مسارب دقيقة، تدل كل ألفاظه، وكل جمله، وكل آياته، على عظمة الألوهية، وشرف الربوبية، وصحة نبوة خاتم الأنبياء ﷺ "[24]، ثم يفسر حسن تناسب المعاني مع الألفاظ في القرآن الكريم بقوله: " فمن يقرأ الشعر الجاهلي كالمعلقات مثلا يجد ألفاظها بين غريب مستنكر، و وحشي مستكره، كما يجد كلاما بليغا، وكلاما متوسطا في البلاغة، وكلاما وضيعا قد بلغ الحضيض في الابتذال "[25].

---

[22] دلائل الإعجاز، الجرجاني، تح: محمد رشيد رضا، ط2، مطبعة المنار، مصر، 1331هـ، ص39.

[23] المرجع نفسه، ص 54.

[24] المرجع نفسه، ص 55.

[25] المرجع نفسه، ص 54.

وفي هذا الكلام ما يدل على تماسك وانسجام مباني القرآن بمعانيه، سواء أطالت آياته أم قصرت، وهذا ما لا نجده في أفضل كلام العرب وزنا واعتدالا، وهو الشعر الجاهلي، بل إن كلام البشر المعدود منه بليغا إنما هو كلمات معدودة وألفاظ قليلة، ومن هنا يتفارق القرآن والشعر.

4.1.3 سمو الأسلوب القرآني في الأغراض العلمية: يبيّن الأستاذ الصديق سمو التعبير القرآني في التأليف والرصف، مع اختلاف وتباين الأغراض التي يتناولها، فيقول : " مما هو معروف أسلوب الكاتب أو الشاعر أو الخطيب يختلف من غرض إلى آخر، بلاغة وفصاحة، فقد يجيد في الوصف دون الغزل، أو الحماسة والفخر دون غيرهما، وكذلك بالنسبة إلى أرباب القلم، وأبناء المنبر، فهم ليسوا سواء في هذه المجالات وهذه الأغراض.... أما القرآن الكريم ـ هذا الكتاب السماوي المعجز ـ فإنه متفوق في كل غرض ومبرز في كل مجال... سواء في ذلك الوعظ، أو القصص، أو الوعد، أو الوعيد، أو الوصف، أو الألوهية، أو الكون، أو الإنسان "[26].

ونستخلص من هذا أنّ أسلوب القرآن هو دليل صدق الرسالة، فلا يمكن أن يتكلم بشر بكلام فصيح من البلاغة العالية، إلا وتعرض له فترات تقطع رونق كلامه وحلاوته، كما لا يمكن أن يجيد بشر كل فنون وطرائقه بنسق واحد، وعلى كل هذه خصوصية خصّ الله بها كتابه العظيم.

5.1.3 جاذبية النغم القرآني: اعتنى محمد الصالح الصديق ببيان جاذبية جرس النظم القرآني، وسرّ وقعه على آذان السامعين، فالكلمة القرآنية بنغم حروفها ومخارجها وحركاتها، لذيذة السماع على مستقبلها، جارية في أحسن هيئة من الإيقاع، وقد استرعت هذه الخصوصية الأستاذ الصديق، فقال: " إن في نظام القرآن الصوتي جاذبية عجيبة، خلابة، ناتجة عن ائتلاف القرآن في حركاته، وسكناته، ومداته، وانفعالاته، مما يسترعي الأسماع، ويثير المشاعر، ويستميل القلوب " [27].

[26] من روائع الإعجاز، ص 55.

[27] المرجع نفسه، ص 56.

ويستدل على ذلك بقصة واقعية، فيقول: " ومن هنا كان تأثر الأعاجم بالقرآن دون أن يفهموه، وقد رأيت في إحدى الحفلات الدينية بالبلاد القبائلية رجلا أمازيغيا لا علاقة له بالقرآن ولا بالعربية يبكي وهو يستمع إلى القرآن يتلوه أحد المقرئين، ولمّا سألته قال لا أدري كيف حرّك مشاعري نغمه، وهزت أوتار قلبي موسيقاه فبكيت "[28].

6.1.3 إرضاؤه العام: امتاز الكتاب العزيز وهو يقرر موضوعاته بمزايا متعددة، ولعل روعة بيانه وهو يصل إلى الخاصة و العامة ويقنع المتعلمين وغير المتعلمين، فيحرك قلوبهم، ويثير وجدانهم هو أقوى دليل على سموه وعلوه وأنه أعلى كلام وأرفعه، يقول محمد الصالح الصديق: " إن القرآن إذا تلي على العامة شعروا بجلاله، وأحسوا بعظمته، وذاقوا حلاوته، وانصاعوا بعقولهم على قدر استعدادهم، وكذلك الخاصة إذا قرؤوا أو قرئ عليهم انقطعوا إليه بقلوبهم وعقولهم، ليستريحوا في ظلاله، ويستشعروا روح الطمأنينة والثقة في حماه، فتشيع في صدورهم أنوار الإيمان والأنس "[29].

يقصد الأستاذ بها أن الأسلوب القرآني المعجز جمع بين غرضين متناقضين، لكن العجيب أنّه يجمع بينها في تآلف وتآزر لا مثيل له، فيخاطب الخاصة بخطاب العامة، ويخاطب العامة بخطاب الخاصة، وهذه الحقيقة القرآنية كان قد سبق إليها محمد عبد الله دراز في كتابه النفيس " النبأ العظيم "، يقول ـ رحمه الله ـ: وأما في القرآن الكريم فإن جملة واحدة منه تلقى إلى العلماء والجهلاء، وإلى الأذكياء والأغنياء، وإلى السوقة والملوك، فيراها كل منهم مقدرة على مقياس عقله، وعلى وفق حاجته، وهذا شيء لا يوجد على أتمه إلا في القرآن الكريم، وهاتان غايتان لا يلتقيان إلا فيه "[30].

7.1.3 إرضاؤه العقل والعاطفة: يمنح البيان القرآني النفس الإنسانية حظها من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معا، وهذه خاصية لم تأت على تمامها إلا في الذكر الحكيم، يقول الأستاذ محمد الصالح الصدّيق: " فالقرآن يخاطب العقل والقلب معا، وهي غاية صعبة المرتقى، عزيزة المنال، فاستمع إليه وهو يسوق الاستدلال العقلي على البعث، كيف يهزّ

[28] المرجع نفسه، ص 57.

[29] من روائع الإعجاز، ص 58.

[30] النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، ط4، 1397هـ، ص 113.

العقل والعاطفة معا، قال تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿39﴾ ﴾(فصلت 39). والحق أن محمد عبد الله دراز كان سباقا إلى الالتفات إلى قضية جمع الأسلوب القرآني بين بلاغة الإقناع من حيث البرهان القاطع، وبلاغة الإمتاع من حيث التأثير والتصوير البارع.

8.1.3 البراعة في تصوير المواقف: من عجيب أمر القرآن أنك إذا أنعمت النظر فيه مرة بعد أخرى، تبين لك طابع مصدره الرباني، المنبثق عن الإبداع الفني والإعجاز الجمالي والتصويري للمواقف والأحداث، فالقرآن معجز بأدائه، ومعجز بأساليب عرضه الفني للمشاهد.

وقد أدرك محمد الصالح الصدّيق هذه المزية في منهج القرآن، فقال: " تحديد المعاني، وتعميق المشاعر، وثورته في أفانين الكلام : أي أن القرآن يورد المعنى الواحد بألفاظ وطرق مختلفة، بمقدرة فائقة خارقة تنبهر أمامها أنفاس الفصحاء والبلغاء "[31].

9.1.3 ضرب الأمثال: من الأساليب البيانية غير المباشرة التي استعملها القرآن في تقريب الفكرة إلى ذهن المخاطب ضرب المثل، وذلك لغرض من الأغراض التي تتكشف بحسب السياقات، كالإقناع الذي قد يصل إلى إقامة الحجة البرهانية، أو الترغيب بالتزيين أو التحسين، أو شحن ذهن المخاطب وتحريك طاقاته الفكرية، أو غير ذلك من الأغراض.

يقول محمد الصالح الصديق مبينا هذا: " من يتتبع القرآن بالتلاوة يجده مليئا بالأمثال، وذلك للوعظ، وحصول التذكير والعلم، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (الزمر: 27) وقال: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلٗاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾(الزمر29)، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴾ (الحج73)، وقال تعالى: ﴿ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (إبراهيم25).

[31] المرجع السابق، من روائع الإعجاز، ص59.

10.1.3 التكرار: من أساليب القرآن في عرض الموضوعات أسلوب التكرار[32]،فإن الله تبارك وتعالى جعل كثيرا من أنباء وقصص القرآن مثناة ومكررة، كما وقع في قصة نوح عليه السلام، وموسى عليه السلام، وغيرهما من الأنبياء، وثمرات هذا الأسلوب كثيرة، فقد يأتى به لتنبيه العباد على الغفلة، أو لشحذ القلوب للموعظة، أو للتخويف والوعيد، يقول محمد الصالح الصديق: " وهو واضح في بعض آيات القرآن، ونلاحظه بالخصوص في قصصه لتأكيد الزجر، والوعيد، وتثبيت الحجة، وفي بعض عباراته لتحقيق المنة أو للإقناع وتركيز الفكرة، وتعميق العقيدة، فكل كاتب أو شاعر أو خطيب أو متكلم إذا كرّر كلاما، نزل قوله المكرر عن درجة القول التي في الفصاحة، وليس كذلك كلام الله، فإن فصاحته تظل على مستواها ودرجتها " [33].

2.3 الإعجاز الغيبي:

من وجوه الإعجاز التي ذكرها محمد الصالح الصديق، ما اصطلح عليه بالإعجاز الغيبي، وهو تلك الأنباء الغيبية الصادقة التي أوردها القرآن الكريم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه الأنباء تتعلق بأحداث ماضية، وقعت حقيقة في عالم الواقع، أو أحداث حاضرة لا سبيل إلى رؤيتها فضلا عن التحدث بها، أو أحداث مستقبلية غامضة لم يحن وقت وقوعها، لكنها ستقع حتما.

وسرّ الإعجاز في ذلك كله أنّ النبي ﷺ كان أميا لم يقرأ ولم يكتب، ثم هو يخبر عن معلومات وحقائق عن مغيبات في الماضي والحاضر والمستقبل، وهذه الأخبار صادقة مطابقة للواقع، تدل على أن القرآن كلام الله، وليس كلام النبي ﷺ، ولا كلام أيّ مخلوق آخر.

وقد قسّم الأستاذ أنباء الغيب الواردة في القرآن إلى ثلاثة أنواع:

---

[32] من روائع الإعجاز ص 60. توكأ الأستاذ في بسط معايير التكرار وأغراضه على كلام الرافعي، وهذا نصّ كلامه فأمعن وأنعم النظر فيه: وهاهنا معنى دقيق في التحدي، ما نظن إلا والعرب قد بلغوا منه عجبا، وهو التكرار الذي يجيء في بعض آيات القرآن، فتختلف في طرق الأداء وأصل المعنى واحد في العبارات المختلفة، كالذي يكون في بعض قصصه لتوكيد الزجر والوعيد وبسط الموعظة وتثبيت الحجة ونحوها، أو في بعض عباراته لتحقيق النعمة وترديد المنة والتذكير بالنعم واقتضاء شكره، إلى ما يكون هذا الباب، وهو مذهب للعرب معروف " إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار العربي، بيروت، لبنان، ط9، 1393 هـ.1973م، ص 193.

[33] المرجع نفسه، ص 60.

أ . الإخبار عن غيب الماضي: يقول فيه محمد الصالح الصديق: " وهذا النوع كثير في القرآن الكريم يتمثل في القصص الرائع عن سير الرسل والأنبياء، وعن مواقف أعدائهم من الكافرين، وقد ذكر الله قصة آدم ونوح و إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم مفصلة في أسلوب رائع مشوق "[34].

ب . الإخبار عن غيب الحاضر: يقول فيه: " ولهذا النوع أمثلة كثيرة في القرآن الكريم ككشفه عن حقيقة المنافقين، وإبراز دخائلهم، ورفع الستار عن خباياهم، ونواياهم، فأنزل في شأنهم: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۖ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴾ (التوبة107. 108)[35].

ج . الإخبار عن غيب المستقبل: وفيه يقول: " وهذا النوع أيضا كثير في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾(الفتح: 27)، وقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ ﴾ (النور: 55).

3.3 الإعجاز التشريعي:

اقتضت حكمة الله ومشيئته أن يتضمن القرآن تشريعات ومناهج، ونظما ومبادئ، تشمل كل حاجات الناس في كافة مجالات الحياة، هذه التشريعات التي عجز البشر ولا يزالون عاجزين عن الإتيان بمثلها، تكشف لنا بوضوح عن مصدرها الرباني، وأنه يستحيل أن يأتي بها أو بما يدانيها على عقل بشري على مرّ القرون، واختلاف الأزمان.

يقول محمد الصالح الصديق: " إن من يتتبع أحكام التشريع القرآني في مختلف مجالات الحياة الفردية، والأسرية، والجماعية، والإنسانية ينبهر من حكمتها، ويدرك بلا تردد أنها أحكام الحكيم الخبير، خالق الإنسان، والعالم بما يصلح له وما لا يصلح "[36].

---

[34] من روائع الإعجاز، ص 62.

[35] المرجع نفسه، ص 63.

[36] من روائع الإعجاز، ص 64.

يتبين لنا من كلام الأستاذ الصديق أن تشريعات القرآن وأحكامه بلغت القمة السامقة في مراعاة نظام الحياة الإنسانية، وأنه لا يمكن للإنسان أن يجد نظما أو تشريعات في أيّ دين أو ثقافة أو مذهب يضاهي تعاليم القرآن في نظرته الكلية إلى هذا الوجود.

4.3 الإعجاز الخَلْقي:

يعدّ إعجاز القرآن في جانبه الأخلاقي من أعظم وجوه الإعجاز التي يستدل بها على الصبغة الربانية لهذا الكتاب العظيم، فقد أولى القرآن الأخلاق الكريمة والمواعظ التربوية أهمية كبيرة، وسعى إلى ترسيخها في حياة الأفراد والمجتمعات، يقول محمد الصالح الصديق: " إنّ إعجاز القرآن الخلقي سيظل مثار الدهشة والإعجاب لكل من يجيل نظره في هذا الكتاب المبين، كيف كان ينطلق مده نقيا طهورا وهو يلقي بالزبد ويحي القلوب...فالقرآن له أثره العميق في حياة العرب الاجتماعية حيث جعل القومية العربية تقوم على أساس من التعاون والتكافل، وله أثره في حياة العرب العقلية حيث أنّه غيّر من طابعها الجاهلي "[37].

والظاهر من كلام الأستاذ أنّ العاقل النزيه، إذا نظر إلى حياة العرب الاجتماعية وما كانوا فيه من أخلاق فاسدة وعادات قبيحة، ثم رأى ذلك التحول والانقلاب العجيب الذي رسمه القرآن في شخصية الإنسان المسلم، تيقن أن المنهج الرباني لا يضاهيه أي منهج في تأصيل الآثار الطيبة وتوريث الأخلاق الفاضلة في حياة الناس العملية.

5.3 اتساق نظريات القرآن وأحكامه:

وصل البيان القرآني إلى الذروة العليا من التناسق والانسجام في تلاؤم موضوعاته، وقد ذكر العلماء أن من إعجاز القرآن الكريم ارتباط موضوعاته المتنوعة في السورة الواحدة حتى تكون كالموضوع الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني، بل إن الموضوعات في السورة تلتحم كتلاحم الأعضاء في جسم الإنسان، كل ذلك بنظم بديع، يسلب في جماله القلوب، ويأخذ بالأبصار.

[37] المرجع نفسه، ص 67.

يقول محمد الصالح الصديق: "اشتمل القرآن على موضوعات كثيرة متنوعة، تشريعية، واعتقادية، وخلقية، وغيرها، وكل هذه الموضوعات والحقائق عرفت في اتساق عجيب، ونظام دقيق، ووضع مثير، وفي مستوى واحد من الفصاحة والبيان، والقوة، والعمق، والإشراقة، وليس فيها أدنى ما يتخيل من ضعف، أو خلل، أو قصور، أو تناقض، فكان هذا إعجازا آخر تقف إزاءه العقول حائرة، والقلوب خاشعة "[38].

إن الناظر في هذا الكلام ـ نظرة فاحصة ـ يجد أن الأستاذ يشير إلى تفرد الخطاب القرآني على سائر أنواع الكلام العربي في نموذجه الموضوعيّ المتناسق، ليبقى حادثة فريدة في تاريخ البشر.

6.3 الإعجاز الحسابي:

وظّف كثير من الباحثين والعلماء في العصر الحديث معارفهم المتاحة لهم لفهم القرآن الكريم كتاب الإنسانية كلها، وقد أسفرت بحوثهم عن حقائق علمية تثير الدهشة والاستغراب فيما يتعلق بالتناسق العددي لكلمات وحروف القرآن.

والمقصود بالتناسق الحسابي: هو التوافق والانسجام في الأعداد القرآنية، وفي عدد استعمال القرآن لكلمات محددة أو حروف معينة، فكلمة كذا مذكورة كذا مرة، وحرف كذا مذكور كذا مرة، وهكذا.[39]

وقد تضاربت أقوال العلماء في اعتبار هذا اللون نوعا من الإعجاز، والذي رآه الأستاذ محمد الصالح الصديق أنّه لا مانع من اعتبار القرآن معجزة حسابية، وتفسير آياته تفسيرا حسابيا، إذ إن هذا الانسجام العددي الدقيق مما يدل على أن القرآن كلام الله. يقول الأستاذ ملخصا ذلك: " الدقة الحسابية في حروف القرآن تثير الدهشة، وتدعوا إلى الإيمان بأن الكتاب من عند الله وأنه معجزة خالدة، وقد أطلق على هذا الوجه من وجوه الإعجاز اسم: الإعجاز الحسابي "[40].

[38] من روائع الإعجاز، ص 68.

[39] إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح الدين الخالدي، ط1، دار عمار، عمان، 1421هـ، ص 328.

[40] المرجع السابق، من روائع الإعجاز، ص 69.

فالذي يراه الأستاذ أن الانسجام والتناسق العددي في القرآن ضرروة تتطلبها الفترة الزمنية المعاصرة، لأنه في نظره يحوي أسرارا من شأنها أن تقوي إيمان الإنسان بالبيان القرآني المعجز، فورود كل توافق عدديّ في القرآن كان بتقدير الله الحكيم العليم.

7.3 الإعجاز العلمي:

اختلفت أقوال العلماء قديما وحديثا في شأن قضية التفسير العلميّ للقرآن الكريم، فقد ذهب أكثر العلماء إلى أن الحقائق العلمية الهادية التي عرضتها آيات القرآن الكريم، من أوضح الأدلة على أن القرآن معجزة علمية، ومن الذين اشتهروا بهذه النظرات والأبحاث العلمية في القرآن: الغزالي، الزركشي، السيوطي، البيضاوي من المتقدمين، والآلوسي، طنطاوي جوهري، الكواكبي، القاسمي، الرافعي، محمد عبد الله دراز، وعبد الحميد بن باديس من المعاصرين.

بينما ذهب بعض العلماء إلى أن القرآن معجزة بيانية لغوية فحسب، ومن هؤلاء الإمام أبو إسحاق الشاطبي، وأبو حيان الأندلسي من المتقدمين، والشيخ محمد حسين الذهبي، والشيخ محمود شلتوت، وأمين الخولي، وسيد قطب، والأستاذ محمود شاكر من المحدثين.

ويعدّ الأستاذ محمد الصالح الصديق من المنتصرين لفكرة الإعجاز العلمي في القرآن، فقد كشف ـ في كتابه ـ أن اجتهادات العلماء والباحثين في العصر الحديث للربط بين آيات الذكر الحكيم ومكتشفات العلم التجريبي الحديث، قد أوصلتهم إلى حقائق علمية مذهلة، من شأنها أن تزيد من ثقة المسلمين بالإسلام والقرآن.

يقول مبينا ذلك: " والحقائق العلمية التي كشف عنها القرآن، وأثبتها العلم الحديث هو الإعجاز العلمي الذي أذهل العقول، وجعل القلوب تخشع لله، وكان هذا من أقوى الدلائل والبراهين على أنّ القرآن كتاب الله الخالد الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿42﴾ ﴾ (فصلت: 42)"[41].

[41] من روائع الإعجاز، ص 71.

ولقد مثّل الأستاذ محمد الصديق في كتابه لشواهد قرآنية، تتحدث عن خلق الإنسان، ونزول المطر والتنويم المغناطيسي، تبيّن تضمّن القرآن لكثير من الإشارات العلمية، التي كشف عنها التقدّم العلميّ والتكنولوجي الحديث.

8.3 الإعجاز النفسي:

ذكر الأستاذ الصدّيق أنّ التأثيرات النفسية التي يحدثها القرآن الكريم تعدّ وجها من وجوه إعجازه، حيث قال: " للقرآن تأثير نفسي عجيب، فلم يعرف قبله ولا بعده، كلام يؤثر في القلب مثله، فالذي يسمع القرآن تعتريه هيبة وخشية، ويشعر بأنه كلام غير عادي، وإن لم يعلم أنّه قرآن، وذلك ما جعل فصحاء العرب المشركين ترتعد فرائصهم حينما سمعوا آيات منه يتلوها سيدنا محمد ﷺ، وهذا التأثير النفسي العجيب، كان المشركون يوصون أتباعهم ألا يسمعوا القرآن خشية أن يتأثروا به، وهذا ما حكاه القرآن عنهم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦ ﴾ "[42].

فهذه التأثيرات البليغة التي يحدثها القرآن على النفس الإنسانية، هي من أعظم الدلائل على أنّ هذا الكتاب هو كلام الله، وقد قدّم الأستاذ أمثلة ونماذج على تأثير القرآن في النفوس، فذكر قصة عمر بن الخطاب وجبير بن مطعم ﷺ، والفضيل بن عباس وعبد الرحمن بن المبارك، وكيف تأثّروا بالقرآن، فرقّت له قلوبهم، وتحوّلوا تحوّلا جذريا عند سماع آياته.

[42] من روائع الإعجاز، ص 98.

4. آراء مشاهير العلماء في قضية إعجاز القرآن:

حرص الأستاذ محمد الصالح الصدّيق أثناء بحثه قضية إعجاز القرآن ذكر آراء أشهر العلماء في، مكتفيا بذكر المؤلف دون اسم كتابه لشهرته، وقد يذكر المؤلف مع جزء من اسم الكتاب، لكن أهم ما يعتني به هو إيراد وجه الإعجاز عنده.

ويلاحظ من خلال المنهج الذي سلكه الأستاذ، أن هؤلاء العلماء الذين نقل أقوالهم واختياراتهم في القضية، ذوو اتجاهات مختلفة، ونواح متعددة، فمنهم الأدباء والفقهاء والمفسرون وعلماء الإعجاز والدراسات القرآنية، كما يلاحظ أنه جمع بين آراء المتقدمين والمحدثين، فعرّج على ذكر رأي خمسة وسبعين عالم ممن كتبوا في الإعجاز، وساق كل ذلك على الإيجاز والاختصار من دون تأييد رأي أو تفنيد آخر.

والمتأمل في قوائم أسماء هؤلاء العلماء، لا يملك إلا أن يجعلها على قسمين كبيرين:

أحدهما: المتقدمون، كالنظام، والجاحظ، وأبو الحسن الأشعري، والطبري، والقمي، والواسطي، والرماني، والخطابي، وأبو هلال العسكري، والشريف المرتضى، والمؤيد الشيرازي، وابن سنان الخفاجي، وعبد القاهر الجرجاني، وأبو حامد الغزالي، والقاضي عياض، والزمخشري، وابن عطية، وأبو علي الطبرسي، وابن رشد الفيلسوف، وفخر الدين الرازي، والسّكاكي، وابن العربي الصوفي، والآمدي، ونصير الدين الطوسي، وحازم القرطاجني، والقاضي البيضاوي، والزملكاني، وابن تيمية، والخطيب القزويني، وابن جزي الكلبي، ويحي بن حمزة العلوي، والأصبهاني، وابن القيّم الجوزية، وابن كثير الدمشقي، والشاطبي، وبدر الدين الزركشي، وابن خلدون، والفيروزآبادي، والمراكشي، ومعين الدين بن صفي الدين، والسيوطي، وزكريا الأنصاري، وابن كمال باشا، وزاده القونوي، وأبو السعود، وطاش كبرى زاده، ومحمد الشربيني، وشهاب الدين الخفاجي، شمس الدين الضرير، وسليمان العجيلي، والشوكاني، والآلوسي، والتنوخي.

والثاني: المحدثون، كمحمد توفيق صدق، وطنطاوي جوهري، ورشيد رضا، وعبد الحميد بن باديس، وإبراهيم بيوض، ومحمد رشاد خليفة، ومحمد متولي الشعراوي، وجمال الدين القاسمي، وعبد الرحمن الكواكبي، والرافعي، وسيد قطب، والدكتور زكي مبارك، عبد العظيم الزرقاني، ومحمد البشير الإبراهيمي، ومصطفى المراغي، ومحمد أرزقي الشرفاوي، ومحمد الغزالي، محمد سعيد رمضان البوطي، وأحمد حسن الزيات، والدكتور مصطفى أحمد الزرقا، والدكتور شكري فيصل.

ومن التنبيهات المهمة التي نبّه عليها محمد الصالح الصديق في دراسته لأقوال أهل العلم في وجوه إعجاز القرآن، هو تعريجه على جهود علماء الجزائر في دراسة هذه القضية، فقد أبرز آراء من تكلموا في إعجاز القرآن، مثل ابن باديس والإبراهيمي وإبراهيم بيوض ومحمد أرزقي الشرفاوي.

ولعل مما يستوقف نظر الباحث أن الأستاذ تفرد بالنقل عن بعض المعاصرين، فقد أشار إلى رأي شيخه محمد أرزقي الشرفاوي ـ أحد كبار علماء الجزائر ـ في القضية، يقول محمد الصالح الصديق في تفصيل ذلك: " وكنت اطلعت عند أحد تلامذته على أوراق له في الإعجاز يرى فيها يرى أن القرآن معجز بصياغته البديعة، وجمال تنسيقه الفذ، وتأثيره العجيب على النفوس، وتوافق إشاراته العلمية مع مقررات العلم الحديث "[43].

[43] من روائع الإعجاز، ص 129.

الخاتمة:

بعد هذه الرّحلة مع البحث، وصلنا إلى جملة من النتائج أهمّها:

ـ بذل محمد الصالح الصديق جهدا كبيرا في تذليل مسألة إعجاز القرآن، فهي وإن كانت مطروقة في كثير من جوانبها، إلا المؤلف عرضها في أسلوب رصين جزل، زانه كثير من التجديد فيما يخص حسن العرض، وجودة الاختصار.

ـ أقرّ محمد الصالح الصديق بتعدد وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ورجح أن الوجه البياني هو الوجه الذي وقع به التحدي، كما أظهر مكانة الإعجاز الروحي كدليل على مصدره الرباني.

ـ غاب عن هذه الدراسة تعريف إعجاز القرآن، كما أغفل المؤلف رأي مالك بن نبي في القضية.

ـ ساد هذه الدراسة العرض والوصف لآراء وجهود العلماء، ولم يكن لها وقوف طويل أمام المناهج التي صدرت عنها نظرات أولئك العلماء التحليلية، ولكن هذا لم يمنع من وجود تناول عميق لبعض القضايا والأفكار المبثوثة في تراث العلماء، وردّ لبعض الشبه المثارة حول بعض آيات القرآن الكريم.

ـ لعل من محاسن كتاب "من روائع الإعجاز" أنّ مؤلفه تعرض لآراء عدد من الكتاب والباحثين الأكاديميين الذين تناولوا مسألة الإعجاز، من أمثال مصطفى صادق الرافعي ومحمد الغزالي وشكري فيصل ومصطفى أحمد الزرقاء، كما توقف عند آراء بعض العلماء الجزائريين في القضية على غرار ابن باديس، وصنوه الإبراهيمي، وإبراهيم بيوض، ومحمد أرزقي الشرفاوي.

ـ وفق الأستاذ محمد الصالح الصديق في عرض قضية إعجاز القرآن بأسلوب أدبي رائق يصل بالقارئ إلى الاقتناع العقلي والاطمئنان القلبي بأن القرآن الكريم إلهي المصدر، حيث يقدّم المادة للقارئ، بعيدة عن التقعر في الألفاظ، بعيدة عن الجفاف في المعاني بحيث يتقبلها القلب والعقل.

قائمة المصادروالمراجع:

1 . أضواء كاشفة عن محطات بارزة من حياة الأديب الأستاذ محمد الصالح الصدّيق، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، برج الكيفان، الجزائر، 2007م.

2 . إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح الدين الخالدي،ط1، دار عمار، عمان، 1421هـ.

3 . إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار العربي، بيروت، لبنان، ط9، 1393 هـ.1973م.

4 . الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت .

5 . العلامة الأديب محمد الصالح الصدّيق، الهرم الثقافي الشامخ، على الرابط: https://binbadis.net

6 . الوجيز، ابن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.

7 . النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، ط4، 1397هـ .

8 .الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تح: مركز الدراسات القرآنية، ط1، المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426هـ.

9 . دلائل الإعجاز، الجرجاني، تح: محمد رشيد رضا، ط2، مطبعة المنار، مصر، 1331هـ.

10 . من روائع الإعجاز، محمد الصالح الصديق، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2014م

11 . مفردات ألفاظ القرآن،الراغب الأصفهاني، تح: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق،ط2، 1418هـ.1997م.

12 . معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين ابن فارس، تح: عبد السلام هارون، ط1، دار الفكر، بيروت، 1399هـ . 1979م.

13 . مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني، ط/ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط3.